الجهمية

أفكارهم وعقائدهم المخالفة لجمهور علماء المسلمين الردود عليهم

الدكتور إياد طه سرحان العجيلي
المدرس في قسم اللغة العربية
كلية التربية / جامعة ديالى

١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على خاتم الأنبياء و المرسلين، و على اله الطيبين، و صحابته المجاهدين، و التابعون ومن تبعهم و بعد.

فأن دراسة أي فرقة من الفرق تحتم علينا الوقوف عند كل شاردة و واردة في أفكار و معتقدات تلك الفرقة و لعل ذلك يرجع إلى سببين أساسيين هما ، معرفة الحقبة التاريخية التي عاشت و نشأت فيها تلك الفرقة و ما احتوته من أفكار و معتقدات ، و الثاني لعرض أفكار تلك الفرقة و معتقداتها على نصوص الشريعة الثابتة – القران الكريم – و السنة النبوية الشريفة – كي تصبح خدمة واضحة وجليلة لمصلحة الدين ، و كذلك لتعريف الناس بخطورة بعض أو اغلب أفكار هذه الفرق ، لا سيما ونحن نعيش في عصر قد فشت فيه جهالة كثير من الناس عن أفكار تحمل في طياتها اسم الإسلام و لكن في جوهرها جاءت لهدم صرح الإسلام و ضرب أصول العقيدة الصافية التي جعلها الله خاتمة لكل الشرائع ، و لهذا وجدنا من الواجب التوجيه إلي دراسة فرقة من هذه الفرق و تحليل أفكارها و التعريف بها و ردود العلماء المسلمين عليها ، إذ قمنا بدراسة للجهمية – اتباع الجهم بن صفوان – و وقفنا على مسألة مهمة في دراستنا هذه ألا و هي مسألة القضاء والقدر – و مسألة هل إن الإنسان مجبر في أعماله أو مخير لما لهذه المسألة من شأن عظيم و قد قسمنا هذه الدراسة إلى ثلاث مباحث ، مع خاتمة ، ملحق بها قائمة بالمصادر و المراجع التي قام عليه البحث .

المبحث الأول : درسنا فيه التعريف بالجهمية ، و بالجهم بن صفوان ، و مدى علاقته بالجعد بن درهم ، و موقف الجهم بن صفوان من المتكلمين .

أما المبحث الثاني فقد تحدثنا فيه عن أهم معتقدات الجهمية ما هو موافق لمن كان قبلها أو أفكار مخالفة و كذلك عرضنا أهم الأفكار التي تفرد الجهم بن صفوان بها ، خاصة القول بأن الجنة و النار تبيدان و تفنيان .

أما المبحث الثالث فقد عرضنا فيه ردود العلماء على تلك الفرقة و ما اتسمت فيه هذه الردود من روح العقيدة الصافية ، و قد كان هذا المبحث مطولاً إذ وجدنا انه من الضروري معرفة أقوال العلماء المسلمين في تفنيد تلك الأفكار و المعتقدات فقد كان هذا المبحث بمثابة التحليل لتلك الأفكار . و جاءت الخاتمة في نهاية هذه الدراسة سارداً فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في دراستي هذه . ثم فهرست المصادر و المراجع و أهم الكتب التي اعتمدتها في دراستي لهذه الفرقة ((وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)) .

المبحث الأول

التعريف بالجهمية

الجهمية:فرقة ظهرت قبل المعتزلة وقالت بالجبر وخلق القران ونفت الصفات وانكرت الرؤية السعيدة .فلما قام المعتزلة بعد ذلك اخذوا عن الجهمية اقوالها في خلق القران ونفي الصفات والرؤية ،فاطلق عليهم اهل السنة اسم الجهمية ، وصاروا يعرفون به عندهم .

وقد كان قسم من العلماء يردون على الجهمية وهم يقصدون في ردهم المعتزلة .

وفي هذا يقول الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي ((أن الائمة المتأخرين الذين كتبوا في الرد على الجهمية كابن حنبل والبخاري ومن جاء بعدهم انما عنوا بالجهمية المعتزلة اما ائمة السنة المتقدمون الذين ردوا على الجهمية فقد كانوا يقصدون الجهمية الاولى لانها سابقة للمعتزلة))(١) .

ويظهر قول القاسمي جلياً في كلام الإمام ابن تيمية (٢) ، وتلميذه ابن القيم (٣) ، فكلاهما يردان على الجهمية وهما يقصدان بهما المعتزلة . و قد ظهرت بدع هذه الفرقة بترمذ ، و كان على على رأس الضالة الجهم بن صفوان ، أبو محرز الراسبي ، مولاهم ، السمرقندي ، الكاتب المتكلم ، كان صاحب ذكاء و جدال ، قيل : إن سلم بن أحوز قتل الجهم ، لإنكاره إن الله كلم موسى ، قتل سنة ١٢٨ هـ مع الحارث بن شريح ضد بني أمية (٤) .

الجهم بن صفوان ، هو رأس مدرسة فكرية كبيرة ، كان لها اكبر الأثر في الفكر الإسلامي ، فقد اخذ قول الجعد (٥) في نفي الصفات الإلهية و طورها ، و ارتبطت الفكرة بأسمه تأريخياً ، حتى صارت علماً على من ينفي الصفات الإلهية ، قد تطرف الجهم فنفى الأسماء الحسنى ايضاً لذا سميت الجهمية (النفاة المحض) أو (الغالية) و سميت ايضاً بالجبرية و لهذا فقد أنكر الفقهاء والعلماء من اهل السنة قول الجهم و نظروا إليه كبدعة و عدو الجهمية ضالين ، و حذروا الناس منهم و ذموا من جالسهم و بالغوا في الرد عليه و كانوا يوصون إلى أخلافهم بأن لا يسلموا عليهم ، ولا يعودوهم إن مرضوا ، و لا يصلوا عليهم إذا ماتوا . (٦)

و للجهم بن صفوان بوصفه من المتكلمين موقف خاص يميزه عن غيره ، ذلك انه يتفق مع المرجئة في القول بان الاعتقاد يكون بالقلب ،ويتفق مع المعتزلة في نفي الصفات ،ولكنه من ناحية أخرى كان من اشد القائلين بالجبر(٧) وكان جهم مع ضلالته يحمل السلاح ويقاتل السلطان ،وخرج مع سريج بن حارث على نصر بن سيار، وأتباعه يعرفون الجهمية نسبة اليه،وظلوا إلى القرن الحادي عشر حول ترمذ ثم اعتنقوا مذهب الاشاعرة (٨)

قال الإمام أبو حنيفة:أتانا من الشرق رأيان:جهم المعطل،ومقاتل بن سليمان المشبه،أفرط جهم في نفي التشبيه،حتى قال :انه تعالى ليس بشيء .وأفرط مقاتل في التشبيه حتى قال :إن الله على صورة إنسان (٩) وبعد ذكر بعض أقوال العلماء عن هذه الفرقة الضالة،والردود المتسمة بروح العقيدة النابعة من الأصول الثابتة(القران الكريم–والسنة النبوية الشريفة) نرى انه قد طمست أفكار الجهم بن صفوان لنا ظهر من زيف ادعائه ومخالفته الصريحة للسلف الصالح ،فضلاً عن انه تلميذ مخلص لأستاذ كان أصله يهودي.

المبحث الثاني

أفكار ومعتقدات الجهمية

قبل البدء بذكر أفكار و معتقدات الجهمية نقول : إن لكل فرقة تظهر على ساحة المجتمع أفكار قد تكون موافقة لمن كان قبلها أو موافقة أو مخالفة لمن عاصرها و قد تكون لها أفكار مستقلة خاصة بها تميزها عن غيرها من الفرق و الطوائف الأخرى . و هذا ما ظهر لنا جلياً عندما استعرضنا أفكار و معتقدات الجهمية ، فعند وضعها على طاولة البحث و التمحيص وجدنا إن الجهمية قد كان لهم أفكار موافقة لمن كان قبلهم كمسألة خلق القران التي أخذها الجهم بن صفوان عن الجعد بن درهم ، و مخالفة كمسألة تنزيه الله تبارك و تعالى (التعطيل) على عكس غيرهم ممن قالوا بالتشبيه .

و كذلك جاء الجهم بن صفوان بأفكار جديدة لم يسبقه احد في هذه الأفكار ، و هذا كله سنجده واضحاً و جلياً في عرض أهم أفكارهم و معتقداتهم في هذا المبحث .

ومن أهم أفكارهم و معتقداتهم، لا يجوز يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه، لان ذلك يقضي تشبيهاً فنفى كونه حياً عالماً، و اثبت كونه قادراً، فاعلاً، خالقاً، لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدرة، و الفعل، و الخلق.

و منها إثباته علوماً حادثه الباري تعالى لا في محل. قال : لا يجوز أن يعلم الشيء قبل خلقه ، لأنه لو علم ثم خلق ، افبقي علمه أم لم يبق ؟ فأن بقي فهو جهل ، فان العلم بان سيوجد غير العلم بان قد وجد . و إن لم يبق فقد تغير ، و المتغير مخلوق ليس بقديم ،قال :وإذا اثبت حدوث العلم فليس يخلو :اما أن يحدث في ذاته تعالى ،وذلك يؤدي إلى التغير في ذاته ، وان يكون محلاً للحوادث ، وأما أن يحدث في محل فيكون المحل موصوفاً به ،لا الباري تعالى ، فتعين انه لامحل له . فأثبت علماً حادثه بعدد الموجودات المعلومة(١٠) .

ومنها قوله في القدرة الحادثة إن الإنسان لايقدر على شيء ،ولا يوصف بالاستطاعة ،وإنما هو مجبور في أفعاله ،لاقدرة له ، ولاارادة ، ولا اختيار ، إنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات ، وتنيب إليه الأفعال مجازاً كما تنسب إلى الجمادات ، كما يقال : أثمرت الشجرة ،وجرى الماء ، وتحرك الحجر ، وطلعت الشمس وغربت ، وتغيمت السماء وأمطرت ، واهتزت الأرض وانبت ، إلى غير ذلك . والثواب و العقاب جبر، كما إن الأفعال كلها جبر. وإذا اثبت الجبر فالتكليف ايضاً كان جبراً (١١) .

وعلى هذا الأساس بنى الجهم فكرته في نفي الصفات على ركنين أساسيين هما :

أ-لغوي : قال الجهم :المماثلة هي الاشتراك في الاسم ، لذلك كان يقول : لاأصف الباري تعالى بوصف يجوز إطلاقه على غيره : كشيء ، موجود ، حي ، عالم ، مريد ، ونحو ذلك (١٢) ، وعلى هذا سموا بالجبرية .

ب-فلسفي : كان الجهم جبرياً ، فنفى القدرة الإنسانية والاستطاعة ،فليس للإنسان عنده قدرة ولا اختيار ،فهو مجبر في أفعاله ، والله يخلق فيه الأفعال كما يخلقها في الحيوانات و الجمادات ونسبتها إلى الإنسان مجازاً ، فلا فعل ولاعمل لاحد غير الله تعالى (١٣) .

وقد تفرد جهم بالقول بان الجنة والنار تبيدان وتفنيان ، وان الإيمان هو معرفة بالله فقط والكفر هو الجهل بالله فقط ، وكان يقول بخلق القران ، وقوله ايضاً : انه لايقال : إن الله لم يزل عالماً بالأشياء قبل أن تكون .

وتلذذ اهل الجنة بنعيمها ، وتألم أهل النار بجحيمها ، إذ لاتتصور حركات لا تتناهى آخر ، كما لاتتصور حركات لا تتناهى اولاً . وحمل قوله تعالى (خالدين فيها) على المبالغة والتأكيد دون الحقيقة في التخليد ، كما يقال خلد الله ملك فلان ، و استشهد على الانقطاع بقوله تعالى ((خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك))(١٤) فالآية اشتملت على شريطة و استثناء و الخلود و التأبيد لا شرط فيه و إلا استثناء و منها قوله: من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده ، لان العلم و المعرفة لا يزولان بالجحد ، فهو مؤمن قال : و الإيمان لا يتبعض أي لا ينقسم إلى : عقد و قول ، و عمل ، قال و لا يتفاضل اهل فيه ، فإيمان الأنبياء و إيمان الأمة على نمط واحد اذ المعرف لا تتفاصل ، و الجهم موافق المعتزلة في نفي الرؤية ، و إيجاب المعارف بالعقل قبل ورود السمع (١٥) .

و بعد سرد قسم من أفكارهم و معتقداتهم ، نرى إن علماء المسلمين كانوا قد أنكروا هذه الأباطيل الزائفة و تصدوا لها ، و نظروا إليها كبدع ، فقد ضلل علماء المسلمين الجهمية ، و ذموا من جالسهم ، أو اعتقد معتقدهم ، و هذا ما نستعرضه في المبحث الثالث لنرى كيف انبرى علماء المسلمين لمثل هكذا أفكار و معتقدات .

المبحث الثالث

ردود علماء المسلمين على أفكار و معتقدات الجهمية

نجد في ردود العلماء روح العقيدة الصافية و النابعة من مصادر التشريع الثابتة القران الكريم و السنة النبوية المطهرة ، و أقوال السلف الصالح . فقد وردت في القران الكريم أوصاف كثيرة لله تعالى ، خصوصاً في مسألة الصفات كالقديم ، و العليم ، و القاهر ، و القادر ، و القوي ، و العادل ، و كل اسم من أسماء الله الحسنى يدل على إحدى هذه الصفات . وقد ورد ذكر الأسماء الحسنى في القران الكريم في قوله تعالى ((ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه))(١٦).ومن تتبع أقوال السلف الصالح نجد إنهم كانوا يعتقدون إن أسماء الله تعالى أزلية وان صفاته تعالى أزلية .فقد كان الإمام احمد بن حنبل يقول : إنها غير مخلوقة (١٧) .غير أن ابن حزم يخطئ من يطلق على الله لفظ الصفات ، لانه تعالى لم ينص على ذلك في كلامه المنزل ، ولا جاء شيء من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا في كلام احد الصحابة (رضي الله عنهم) أو أخيار التابعين ، كما إن ابن حزم يقاوم الفكرة القائلة بان أسماء الله كالقوي ، و العليم ، والسميع ، والبصير ، هي أسماء مشتقة من صفات ذاته . فالكلام في الصفات

عنده بدعة منكرة ، اخترعه المعتزلة ، والرافضة،واتبعهم قوم من اهل الكلام سلكوا غير مسلك السلف الصالح (١٨) ويعتمد في قوله هذا على بعض آيات الكتاب المبين ، كقوله تعالى : ((إن هي إلا أسماء سميتموها انتم وآبائكم ما انزل الله بها من سلطان)) (١٩) .وأهل السنة يصدقون ويعتقدون بان الله سبحانه ليس يشبه ولا يماثله شيء من المخلوقات لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله لان أسماءه كلها حسنى وصفاته كلها صفات كمال وعظمة ، فهذه الآية في قوله تعالى ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)) (٢٠) هي اصل عقيدة اهل السنة والجماعة في باب الصفات ، فان الله عز وجل قد جمع فيها بين النفي والإثبات فمن فهم هذه الآية حق فهمها وتدبرها حق تدبرها مشى بها على اختلاف المختلفين في الصفات على طريقة بيضاء واضحة ويزداد بصيرة إذا تأمل معنى هذه الآية الشريفة .

وقوله : (السميع البصير) أي هو السميع لم ينطق به خلقه اختلاف لغاتهم ، البصير الذي أحاط بصره في جميع المبصرات وخلاصة ماتقدم إن السلف رضي الله عنهم يؤمنون بكل ما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم إيمانا سالما من التحريف والتعطيل ومن التكييف والتمثيل ويجعلون الكلام في ذات الباري وصفاته باباً واحداً ، فان الكلام في الصفات فرع من الكلام في الفرات فكما إن الله ذاتا لا تشبهها الذوات فله صفات لاتشبهها الصفات .

فإثباتنا للصفات إثبات بلا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف (٢١).وقد زعم الجهمية ، إن الله لاشيء ، وما من شيء ، ولافي شيء عليه صفة شيء ولا معرفة شيء ولاتوهم شيء ، ولا يعرفون فيما زعموا إلا بالتخمين فوقعوا عليه اسم الإلوهية ، ولا يصفونه بصفة يقع عليه الإلوهية (٢٢) .

وقال الله سبحانه و تعالى في كتابه : ((قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيداً بيني وبينكم))(٢٣) ففي هذا النص الشريف اخبر سبحانه وتعالى انه شيء . وما جاءت به الآثار فهو ماروي عن أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ليسئلنكم الناس عن كل شيء حتى يسئلونكم : هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ؟ فقولوا: الله خالق كل شيء، وقبل كل شيء، وهو بعد كل شيء).

ولا يقاس سبحانه بخلقه في أفعاله ولافي صفاته ، وانه لايجوز أن يشترك هو سبحانه و المخلوق في قياس تمثيل و لاقياس شمول تستوي أفراده ولكن يستعمل في حقه المثل ألأعلى وهو إن كل ما اتصف به المخلوق من كمال ، فالخالق أولى به ما ينزه عنه المخلوق من نقص فالخالق أولى بالتنزه عنه تعالى (٢٤) .

و مسألة علم الله سبحانه و تعالى من المسائل الأخرى التي خاض الجهمية فيها و قد انبرى العلماء في الرد على من أنكر علم الله تعالى الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات و لا في الأرض . فقد وردت في القران الكريم آيات منها:

قوله تعالى: ((يعلم ما يلج في الأرض و ما تخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها)) (٢٥)

و قوله تعالى : ((و عنده مفاتيح الغيب لا يعلمه إلا هو و يعلم ما في البر و البحر و ما يسقط من ورقة إلا يعلمها و لا حبة في ظلمات الأرض و لا رطب و لا يابس إلا في كتاب مبين)) (٢٦)

و قوله تعالى: ((لتعلموا إن الله على كل شيء قدير و إن الله أحاط بكل شيء علماً)) (٢٧).

في هذه الآيات دليل على إثبات صفة العلم و هي من الصفات الذاتية و علمه سبحانه شامل لكل شيء و محيط فيعلم ما كان و ما يكون و ما لم يكن و لو كان كيف يكون .

فإن قيل ليس لله علم كفر ، و إن قالوا إن الله علم محدث كفروا حيث زعموا إن الله قد كان و في وقت من الأوقات لا يعلم حتى حدث له علماً فعلم ، فان قالوا إن الله علم وليس مخلوقاً و لا محدثاً رجعوا عن قولهم كله و قالوا بقول اهل السنة . و خلاصة القول : انه سبحانه يعلم الغيب و الشهادة و الأحوال الظاهرة و الباطنة و الرطبة و اليابسة . و إن الله يعلم المنظور و المحجوب و المعلوم و المجهول و جميع ما في الزمان و المكان على السواء فلا يخفى عليه شيء جلا و علا (٢٨).

و كذلك من الأفكار التي جاء بها الجهم بن صفوان هي مسألة القدرة و الاستطاعة ، و في زعمه إن الإنسان مجبر في أفعاله لا قدرة له و لا إرادة و لا اختيار انما يخلق الله فيه الأفعال إنما تنسب إليه الأفعال مجازاً، و هذه المشكلة في أصلها لم تكن جديدة و انما لها أصول قديمة إذ اختلف الناس قبل الجهم بن صفوان في مسألة القضاء والقدر ، و هل إن الإنسان مسير أم مخير . و قد ذكر بعض الكتاب ، إن معاوية (رضي الله عنه) حين استقر له الأمر ، أراد أن يثبت في أذهان الناس إن إمارته على المسلمين انما كانت بقضاء الله و قدره فأشاع الفكرة و شجع مذهب الجبر (٢٩) .

و قد قال الجبريون : إذ قلنا إن العبد خالق في أعماله ترتب عليه تحديد قدرة الله و إنها لم تشمل كل شيء و إن العبد شريك لله في إيجاد هذا العالم . و الشيء الواحد لا يمكن أن تتعاون عليه قدرتان . فان كانت قدرة الله هي التي خلقته فلا شأن للإنسان فيه وإن كانت قدرة الله. و لا يمكن أن يكون بعضه بقدرة الله و بعضه بقدرة العبد (٣٠).

و قد كانوا يمضون في البرهان على رأيهم و يستندون عليه بآيات من القران الكريم مثل قوله تعالى : ((و ما تشاءون إلا أن يشاء الله)) (٣١) . و قوله تعالى:((و ما رميت اذ رميت و لكن الله رمى)) (٣٢) . و قوله تعالى : ((انك لا تهدي من أحببت لكن الله يهدي من يشاء)) (٣٣) .

وقد كانوا يؤولون الآيات الدالة على إرادة العبد وخلقه للأفعال على حسب ماراوه مناسباً لتأويل هذه الآيات . وقد كان الدور البارز لأهل السنة والجماعة بالرد على من قال إن الإنسان مجبر أو هو كالريشة في مهب الريح لذلك نرى قوة ردود علماء المسلمين النابعة من أصول العقيدة الثابتة -القران الكريم-والسنة النبوية المطهرة. وأهل السنة متفقون على إن الله خالق أفعال العباد ، وعلى إن العبد قادر ومختار يفعل بمشيئته وقدرته ، والله خالق ذلك كله ، وعلى الفرق بين الأفعال الاختيارية والاضطرارية وعلى إن الرب يفعل بمشيئته وقدرته ، وان ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن .

فالعبد إذا صلى وصام وحج أو عمل شيء من المعاصي كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح أو السيء ، وفعله بلا ريب قد وقع باختياره ، وهو يعلم ضرورة انه غير مجبور على الفعل أو الشرك ، وانه لو شاء لم يفعل ، والله سبحانه أضاف الأعمال سيئها وحسنها إلى العباد .

واخبر أنهم الفاعلون لها، وأنهم محمودون عليها إن كانت صالحة ومثابون عليها و مذمومون عليها إن كانت سيئة و معاقبون عليها.

وقد خص الله المؤمنين بنعمة دون الكافرين بان هداهم للإيمان ولو كانت نعمته على المؤمنين مثل نعمته على الكافرين لم يكن المؤمن مؤمناً كما قال تعالى ((ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون)) (٣٤).

وقد استقر إن الأفعال الاختيارية من العبد تكسب نفس الإنسان صفات محمودة و صفات مذمومة بخلاف لونه و طوله و عرضه فإنها لا تكسبه ذلك فالعلم النافع و العمل الصالح والصلاة وصدق الحديث وإخلاص العمل لله ونحو ذلك تورث القلب صفاتاً محمودة ففعل الحسنة لها أثار محمودة في النفس والخارج و كذلك السيئات و الله جعل السيئات سبباً لهذا كما جعل السم سبباً للمرض و الهلاك و أسباب الشر لها أسباب تدفع بمقتضاها فالتوبة و الأعمال الصالحة يمحي بها السيئات والمصائب في الدنيا يكفر بها السيئات والله تعالى يخلق الاختيار والرضى في الرأي و المحبة في المحب و هذا رد على من قال جبر الله العباد . و قد غلا الجبرية في الإثبات للقدر حتى سلبوا العبد قدرته و اختياره(٣٥) . و في القران وردت آيات فيها دلالة واضحة و صريحة على قدرة الإنسان و مشيئته ، قال تعالى ((لمن شاء منكم أن يستقيم)) (٣٦) .

إن الله حين خلق الإنسان وخلق الخاصيات في الأشياء وخلق للإنسان العقل المميز ، أعطاه الاختيار بان يقوم بالفعل أو يترعه ولم يلزمه القيام بالفعل أو الترك مع الإيمان الكامل بقضاء الله وقدره ، ولذلك كان الإنسان مختاراً في الأقدام على الفعل أو الإقلاع عنه بما وهبه الله من العقل المميز ، وجعله مناط التكليف الشرعي ، ولهذا جعل له الثواب على فعل الخير لان عقله اختار القيام بأ أوامر الله وإجتناب نواهيه . وجعل العقاب على فعل الشر لان عقله

إختار مخالفة أوامر الله وعمل ما نهى عنه . وكان جزاؤه على هذا الفعل حقاً وعدلاً لانه مختار في القيام له وليس مجبراً عليه ، وعلى ذلك كان الإنسان مسؤولاً عن كسبه (٣٧) . قال تعالى : ((كل نفس بما كسبت رهينة)) (٣٨) . وقد تفرد الجهم بن صفوان بالقول إن الجنة والنار تبيدان وتفنيان بعد دخول أهلها فيها وقد قام العلماء بالرد على هذه الفكرة بالرجوع إلى القران الكريم والسنة النبوية الشريفة .

اما الأدلة على بقاء الجنة وعدم فناؤها فهي كثيرة جداً ، اقتصر على ذكر آيات منها وأحاديث كافية للرد على معتقدهم هذا .

الأدلة من القران قوله تعالى : ((لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى)) (٣٩) .

وقوله تعالى : ((خالدين فيها ابداً رضي الله عنهم ورضوا عنه)) (٤٠) .

وقوله تعالى : ((ومساكن طيبة في جنات عدن)) (٤١) .

وقوله تعالى: ((ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون)) (٤٢).

وقوله تعالى: ((وان الدار الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون)) (٤٣).

وقوله تعالى : ((ويبشر المؤمنون الذين يعملون الصالحات أن لهم اجراً حسناً ماكثين فيها ابداً)) (٤٤) .

ومن السنة النبوية ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (**من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**) (٤٥) .

و عن أبي هريرة و أبي سعد رضي الله عنهما إن رسول الله (**صلى الله عليه و سلم) قال : ((يناد مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا ابدآ و إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا ابدآ ، و إن تشبوا فلا تهرموا ابدآ ، و إن تنعموا فلا تيأسوا ابدآ))** (٤٦)

اما الأدلة على بقاء النار و عدم فناؤها فكثيرة جداً في القران الكريم و السنة النبوية اقتصر على ذكر بعض الأدلة من القران قوله تعالى :((لا يقضى عليهم فيموتوا)) (٤٧) و قوله تعالى : ((لا يموت فيها و لا يحيى)) (٤٨) و قوله تعالى : ((يا ليتها كانت القاضية)) (٤٩) و قوله تعالى : ((يريدون أن يخرجوا من النار و ما هم بخارجين منها و لهم عذاب مقيم)) (٥٠) وقوله تعالى : ((كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها)) (٥١) .

ومن السنة النبوية ما أخرجه الطبراني وأبو نعيم ، عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لو قيل لأهل النار إنكم ماكثون في النار عدد كل حصاة في الدنيا لفرحوا ولو قيل لأهل الجنة إنكم ماكثون في الجنة عدد كل حصاة لحزنوا ولكن جعل لهم الأبد)) (٥٢) .

وهذه الأدلة خير شاهد لكشف زيف وزيغ هذا الادعاء الباطل الذي لم يستند في أصله إلى شيء معين سوى تأويلات باطلة لا أصل لها ولا دليل .

ومن أفكارهم الأخرى هي مسألة الإيمان ، قالوا لاينقسم إلى عقد ، وقول ، وعمل ، وقالوا لايتفاضل اهل فيه . ومن أصول أهل السنة، أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية (٥٣).

قال تعالى : ((وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً)) (٥٤) وقال تعالى :

((فأما الذين امنوا فزادتهم ايماناً))(٥٥).

ففي هذه الآيات رد على الجهمية الذين زعموا إن الإيمان لايتفاضل أهل فيه إما أن يزول بالكلية أو يبقى كاملاً وهذا القول باطل مردود.

وأنكر الجهم بن صفوان النظر إلى الله تبارك وتعالى وقد وردت آيات كثيرة في القران الكريم وأحاديث نبوية شريفة تبين وتؤكد النظر إلى الله تعالى يوم القيامة وهو أهم ما يرجو أهل الجنة من ثواب .

ففي القران الكريم يقول تعالى: ((وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة))(٥٦).

وقال تعالى : ((تحيتهم يوم يلقونه سلام))(٥٧) وقوله تعالى : ((كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون))(٥٨) .ومن السنة النبوية المطهرة ، ماروي في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ناساً قالوا : يارسول الله هل نرى ربنا يوم

القيامة ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لايارسول الله ، قال : فأنكم ترونه كذلك)) .

وان الإيمان برؤية الباري جل و علا في الآخرة هو الاعتقاد الجازم بان المؤمنين يرون ربهم عياناً بأبصارهم في يوم القيامة وفي الجنة))(٥٩).

ومن أفكارهم الأخرى إن القران مخلوق ، فيقال للجهمية : هل وجدتم في كتاب الله تعالى انه يخبر عن القران انه خلقه؟ كما ذكر أشياء انه خلقها كقوله تعالى ((خلق من الماء بشرا))(٦٠) وقوله تعالى: ((خلق الموت والحياة))(٦١)وقوله تعالى: ((خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن))(٦٢) فلم يخبر عن القران انه مخلوق. ألا ترى إلى قوله تعالى : ((الرحمن علم القران خلق الإنسان))(٦٣)ولو شاء الله تعالى لقال (الرحمن خلق القران) غير إن الله لا يسمي الأسماء الابأسم الحق والصدق . فقد اخبر بخلق غير القران ، فلا حجة للجهمية في ذلك(٦٤) .

ومن أفكارهم إيجاب المعارف بالعقل قبل السمع ، فيقال لهم ليس كل ما يعرف بالعقل يكون اصلاً للسمع ودليلاً على صحته ، فان المعارف العقلية أكثر من أن تحصر ، والعلم بصحة السمع غايته أن يتوقف على ما به يعلم صدق الرسول من العقليات ، ليس كل العلوم العقلية يعلم بها صدق الرسول ، بل ذلك يعلم بالآيات والبراهين الدالة على صدقه(٦٥) .

الخاتمة

الحمد لله الذي أعاننا على إكمال هذه الدراسة على هذه الصورة التي ما بخلنا عليها بوقت و طول و فكر و تتبع لكل شارة واردة، و بعد هذه الرحلة في كتب الفرق و الملل توصلنا إلى جملة من النتائج نوجزها على شكل نقاط.

١- من خلال هذه الدراسة لتلك الفرقة وجدنا إن عقائدها و أفكارها بعيدة تماماً عن عقائد المسلمين، و هذا ما وجدناه من خلال عرض تلك العقائد و المخالفات الصريحة لجمهور علماء المسلمين.

٢- بعد التتبع و الدراسة لهذه الفرقة وجدنا إن كثيراً من العلماء من يرجع من أصول هذه الفرقة إلى أصول يهودية، و كما هو معروف كم يحمل اليهود من الحقد على ضرب عود و شوكة الإسلام و المسلمين.

٣- تبين لنا واضحاً إن الجهمية جاءت بأفكار جديدة لم يسبق إليها أحد من الفرق الضالة .

٤- رأينا في ردود علماء المسلمين الروح النقية و الصافية المتمثلة بالقران الكريم – و السنة النبوية ، و يبان صورة الإسلام النقية .

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم

١-الإبانة في أصول الديانة ، أبو الحسن بن علي إسماعيل الأشعري ، حيدر أباد ، ط١ .

٢-الأصول ألفكرية للثقافة الإسلامية، الدكتور محمود ألخالدي، دار الفكر عمان، ط١، ١٩٨٤.

٣–بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية ،تقي الدين بن تيمية الحراني الحنبلي ، القاهرة ، ١٩١١ .

٤–البداية والنهاية، أبو الفداء الحافظ بن كثير، بيروت، ١٩٨٧.

٥–تلبيس إبليس ، أبو ألفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، القاهرة ، ١٩٢٨ .

٦–التبصير في الدين ، أبو المظفر عماد الدين طاهر بن محمود الاسفراييني ، تحقيق عزت عطاره دمشق ، ١٩٤٠ .

٧–التنبيه والرد على اهل الأهواء والبدع ، أبي الحسين محمد بن احمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي ، علق عليه محمد زاهد بن الحسين الكوثري ، مكتبة المثنى بغداد ، و مكتبة المعارف بيروت ، ١٩٦٨ .

٨–تاريخ الجهمية والمعتزلة ، جمال الدين القاسمي الدمشقي ، القاهرة ، ١٩١٢ .

٩–التفكير الفلسفي في الإسلام، الدكتور عبد الحليم محمود، القاهرة، ١٩٥٥.

١٠–دراسات في الفرق والعقائد، الدكتور عرفان عبد الحميد، بغداد، ١٩٦٧.

١١–دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة احمد الشنتناوي ، إبراهيم زكي خورشيد ، عبد الحميد يونس ، يراجعها من قبل وزارة المعارف ، الدكتور محمد مهدي علام ، بيروت .

١٢–سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق حسين الاسدي ، بيروت ،.١٩٨٦

١٣–الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، شمس الدين أبي عبد الله ابن القيم الجوزية ، الرياض ، ١٩٢٩ .

١٤–صحيح مسلم ، أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ،٢٠٠٠ .

١٥–الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، بيروت.

١٦–الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم الظاهري الأندلسي ، القاهرة ، ١٩٢٨ .

١٧–الكامل في التأريخ، أبي الحسن علي بن الأثير، ١٨٧٦.

١٨–الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية ، عبد العزيز ألمحمد السلمان ، مؤسسة مكة ، ط٤ .

١٩–مقالات الإسلاميين ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٢ ، ١٩٨٥ .

٢٠–الملل والنحل ، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ابن أبي بكر احمد الشهرستاني ، تحقيق عبد العزيز الوكيل ، القاهرة.

٢١–المعجم الكبير ، سليمان بن احمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط٢ ، ١٩٨٣.

(١) ينظر ، جمال الدين القاسم الدمشقي ، تاريخ الجهمية المعتزلة ، القاهرة ، ١٩١٢ ، ص٤٤ .

(٢) ينظر ، تقي الدين بن تيميه الحراني الحنبلي ، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة و القرامطة و الباطنية ، القاهرة ، ١٩١١ ، ص٦٧ – ٦٨ – ٦٩ .

(٣) ينظر ، شمس الدين أبي عبد الله الشهير بابن قيم الجوزية ، الصواعق المرسلة على الجهمية و المعطلة ، الرياض ، ١٩٢٩ ، ج١ ، ص٢٣١ – ٢٣٢

(٤) ينظر ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي ، سير أعلام النبلاء ن تحقيق حسين الأسد ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ج٦ ، ص٢٦ – ٢٧ وينظر ، أبو الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر احمد الشهرستاني ، الملل و النحل ، تحقيق ، عبد العزيز محمد الوكيل ، القاهرة ، ج١ ، ص٨٦– ٨٧ ، وينظر أبو الفداء الحافظ بن كثير ، البداية و النهاية ، بيروت ، ١٩٨٧ ، مجلد ٥ ، ج١٠ ، ص ٢٨

(٥)الجعد بن درهم هو أول من قال بخلق القران .وهو الذي ينسب إليه مروان الجعدي ،وهو مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية –كان شيخه الجعد بن درهم .أصله من خراسان ،يقال انه من موالي بني مروان ،سكن الجعد دمشق ،وقد اخذ الجعد بدعته عن ريسان بن سمعان ،وأخذها ريسان عن طالوت ابن أخت لبيد بن اعصم :زوج ابنته ،وأخذها لبيد بن اعصم الساحر الذي سحر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) –صلعم–عن يهودي باليمن .واخذ عن الجعد الجهم بن صفوان وقد أقام الجعد بن درهم بدمشق حتى اظهر القول بخلق القران .فتطلبه بنو أمية ،فهرب منهم ،فسكن الكوفة ،فلقيه فيها الجهم بن صفوان فتقلد هذا القول عنه .ثم إن خالد بن عبد الله ألقسري قتل الجعد يوم عيد الأضحى بالكوفة.وذلك إن خالد خطب بالناس ، فقال في خطبته تلك : يا أيها الناس ،ضحوا يقبل الله ضحياكم ،فأني مضح بالجعد بن درهم .انه زعم إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ،ولم يكلم موسى تكليما تعالى الله كما يقول الجعد علواً كبيراً ثم نزل فذبحه في أصل المنبر ، ينظر ،البداية والنهاية ،المجلد ٥ ،ج ٩ ،مصدر سابق ،ص ٣٥.

(٦)ينظر ، الدكتور ،عرفان عبد الحميد ، دراسات في الفرق والعقائد ،بغداد ،١٩٦٧ ،ط١، ص٢٢١.

(٧)ينظر **j s cotton** ،(الجهم بن صفوان) ، دائرة المعارف الإسلامية ،ترجمة ،احمد الشنتاوي ،إبراهيم زكي خورشيد ، عبد الحميد يونس يراجعها من قبل وزارة المعارف الدكتور محمد مهدي علام ،بيروت ، المجلد ٧ ،ص ١٩٥.

(٨)ينظر ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، الفرق بين الفرق ، بيروت ،ص ١٥٩ ، وينظر **j s cotton** ، (الجهم بن صفوان)، دائرة المعارف الإسلامية ، مصدر سابق ،مجلد ٧ ،ص ١٩٥.

(٩)ينظر ،أبو المظفر عماد الدين طاهر بن محمد الاسفراييني ،التبصير في الدين ،تحقيق عزت عطار الحسيني ،دمشق ،١٩٤٠ ،ص٢٩ وينظر ،أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ، تلبيس إبليس ،القاهرة ،١٩٢٨ ،ص ٨٣ ،وينظر أبي الحسن ،محمد ين احمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي ،التنبيه والرد على اهل الأهواء والبدع ، علق عليه محمد زاهر بن الحسن الكوثري ، مكتبة المثنى بغداد ، ومكتبة المعارف بيروت ، ١٩٦٨،ص٧٧ .

(١٠)ينظر الملل و النحل، ج١، مصدر سابق، ص٨٦–٨٧.

(١١)المصدر السابق، ج١، ص ٨٧–٨٨

(١٢)ينظر أبي الحسن علي بن إسماعيل ألا شعري مقالات الاسلامين ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٢ ، ١٩٨٥ ، ج١ ، ص٢٧٩ ، و ينظر الفرق بين ، مصدر سابق ص١٢٨ ، و ينظر ، الملل و النحل ، مصدر سابق ، ج١ ، ص ١٠٩ .

(١٣)ينظر ، دراسات في الفرق و العقائد ، مصدر سابق ، ص٢٢٢–٢٢٣ .

(١٤)سورة هود الآية ١٠٨ .

(١٥) ينظر ، الملل و النحل ، ج١ ، مصدر سابق ، ص٨٧–٨٨ و ينظر **j. j . s cotton** ، (الجهم بن صفوان) دائرة المعارف ، مجلد ٧ ، مصدر سابق ، ص١٩٥ ، أبي الحسين علي بن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج٥ ، ١٨٧٦ ، ص١٠٤ ، و ينظر ، مقالات الإسلاميين ،ج١، مصدر سابق ، ص٣١٢

(١٦)سورة الأعراف، الآية ١٧٩.

(١٧)ينظر ، أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، إلا بأنه في أصول الديانة ، حيدر أباد ط١ ، ص ٣٤ .

(١٨)ينظر ، ابن حزم الظاهري الأندلسي ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، القاهرة ، ١٩٢٨ ، ج١ ، ج٢ ، ص٩٥ – ٩٦ .

(١٩) سورة النجم، الآية ٢٣.

(٢٠)سورة الشورى، الآية ١١

(٢١) ينظر ، عبد العزيز ألمحمد السلمان ، الكواشف الجلية عن معاني الوسطية ، مؤسسة مكة للباعة ، ط٤ ، ص٥٤–٥٥–٥٦.

(٢٢) ينظر، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، مصدر سابق ، ص٩٦.

(٢٣) سورة الأنعام، الآية ١٩.

(٢٤) ينظر لكواشف الجلية عن معاني الوسطية ، مصدر ، ص٦١.

(٢٥) سورة سبأ، الآية ٢.

(٢٦) سورة الأنعام، الآية ٥٩.

(٢٧) سورة الطلاق ، الآية ١٢ .

(٢٨)ينظر ، الكواشف الجلية عن معاني الوسطية ، مصدر سابق ص ٨٢-٨٣-٨٤-٨٥ .

(٢٩)لمزيد من التفاصيل، يراجع في ذلك الكتاب، التفكير الفلسفي في الإسلام، الدكتور، عبد الحليم محمود، القاهرة، ١٩٥٥، ص ١٩٧.

(٣٠) ينظر، الدكتور محمود ألخالدي، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية، ج٢، دار الفكر، عمان ط١، ١٩٨٤، ص٥٠٦-٥٠٧.

(٣١) سورة الإنسان، الآية ٣٠.

(٣٢) سورة الأنفال، الآية ١٧،

(٣٣)سورة القصص، الآية ٥٦

(٣٤)سورة الحجرات الآية ٧.

(٣٥) ينظر ، الكواشف الجلية من معاني الوسطية ، مصدر سابق ، ص٣٨٣-٣٨٤-٣٨٥-٣٨٧ ، و ينظر ، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية ، ج٢ ، مصدر سابق ، ص ٥١٦-٥١٧-٥٢٠

(٣٦) سورة التكوير، الآية ٢٨.

(٣٧) ينظر، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية، ج٢، مصدر سابق، ص ٥٢٤.

(٣٨)سورة المدثر، الآية ٣٨.

(٣٩)سورة الدخان، الآية ٥٦.

(٤٠)سورة البينة، الآية ٨.

(٤١)سورة الصف، الآية ١٢ .

(٤٢)سورة البقرة، الآية ٢٥.

(٤٣)سورة العنكبوت، الآية ٦٤.

(٤٤)سورة الكهف. الآية ٢.

(٤٥)ينظر ، أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ – ٢٠٠٠ ، رقم ٦٣٨٢ ،ص ١١٩٥

(٤٦)صحيح مسلم، مصدر سابق، برقم ٢٨٣٧، ص ١١٩٥.

(٤٧)سورة فاطر، الآية ٣٦.

(٤٨)سورة طه ، الآية ٧٤ .

(٤٩)سورة الحاقة، الآية ٢٧.

(٥٠)سورة المائدة، الآية ٣٧.

(٥١)سورة السجدة ، الآية ٢٠ .

(٥٢)ينظر ، سليمان بن احمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (٢٩٠-٣٦٠) المعجم الكبير ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ١٩٣٨ ،ط٢ ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ٢٣٦/١ .

(٥٣)الكواشف الجلية عن معاني الوسطية ، مصدر سابق ، ص ٣٩٠-٣٩٣ .

(٥٤)سورة الأنفال، الآية ٢.

(٥٥)سورة التوبة، الآية ١٢٤.

(٥٦)سورة القيامة، الآية ٢٢-٢٣.

(٥٧)سورة الأحزاب، الآية ٤٤.

(٥٨)سورة المطففين، الآية ٥.

(٥٩)ينظر ، التنبيه والرد على اهل الأهواء والبدع ، مصدر سابق ، ص ١١٦ .

(٦٠)سورة الفرقان، الآية ٥٤.

(٦١)سورة الملك، الآية ٢.

(٦٢)سورة التغابن، الآية ٢.

(٦٣)سورة الرحمن، الآية ١–٣.

(٦٤)ينظر ، التنبيه والرد على اهل الأهواء والبدع ، مصر سابق ، ص ١٣١ .

(٦٥)ينظر ، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، مصدر سابق ، ج٢ ، ص ٨٠٠ .